السقايا والأسبلة الوقفية
في مدينة نابلس

إعداد
د. مروان علي القدومي
جامعة النجاح الوطنية

بحث مقدم إلى
مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس
جامعة النجاح الوطنية
بلدية نابلس
2،3،10/2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اعتبرت فلسطين قلب الوطن العربي، لأنها تصل الأقطار العربية الآسيوية بالأقطار الإفريقية، وتعد مدينة نابلس القلب بالنسبة لفلسطين لأنها تقع في منتصف المدن الفلسطينية تصل شمالها بجنوبها، ولذلك فهي بمثابة المركز الحيوي في هذا القلب للمدن الفلسطينية، ومدينة نابلس من المدن العربية الفلسطينية الموغلة في القدم. وتشرفت بدخولها في ظل الاسلام، وذلك عندما فتحها القائد العربي المسلم عمرو بن العاص في عهد الخليفة أبي بكر الصديق 13-11هـ/634-632، وازدهرت نابلس في عهود الدول الاسلامي ونعمت مدن بلاد الشام في ظل الحكم العثماني بازدهار وتطور لمدة أربعة قرون ونيف، واكتسبت مدينة نابلس بعدها الديني، بحكم جوارها لمدينة القدس باعتبارها من الأرض التي باركها الله تعالى في كتابه الكريم "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"([1]).

ويطلق على هذه المدينة الباسلة جبل النار، وهو لقب التصق بها لما أظهره النابلسيون من تضحية وقوة في درء الأخطار الخارجية([2]).

ويشير القلقشندي إلى أن (مدينة نابلس يحتاج إليها لا تحتاحج إلى غيرها)([3]).

وبهذا الوصف يعطي القلقشندي فكرة واضحة عن الوضع الاقتصادي الذي تتميز به المدينة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الاكتفاء الذاتي النسّبي.

وهذا يدلنا بجلاء على الدور الذي أدته الاوقاف في التخفيف من الفقر وتغيير نوعية الحياة في المجتمع.

فمدينة نابلس من أغنى المدن في المؤسسات الوقفية مما يبعث على الاعتزاز بها ومنها السقايات التي تيسر الماء في الطرقات العامة للناس، فسقي الماء وحفر الآبار من أفضل أنواع الصدقات الجارية.

وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على هذه السبل والسقايات في هذه المدينة العريقة.

وللوقوف على هذه الغاية تطلب تقسيم البحث إلى خمسة أقسام:

حيث جاء البحث الأول، تحت عنوان مفهوم الوقف ومشروعيته، وخدماته وبترابط لا انفكاك عنه جاء البحث الثاني في بيان فضل الصدقة الجارية. وتناول المبحث الثالث، انشاء الأسبلة والسقايات في الطرقات والغابات منها. وفي المبحث الرابع تطرق البحث لبيان أسماء السقايات والسبل في مدينة نابلس وأماكنها وإنشائها وأصحاب الوقفيات لها.

أما المبحث الخامس فقد تناول الحديث عن المقترحات لاستعادة دور الوقف في تقديم الخدمات الاجتماعية وبعث الروح فيه من جديد، ومن ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم التوصيات والمقترحات وقائمة المراجع.

نسأل الله عزوجل أن يلهمنا السداد والصواب، وأن يجنبنا الخطأ والزلل.

1 () سورة الإسراء، آية رقم 1.

2 () علاء كامل عبد الجابر سعادة: متسلميّة نابلس في العهد المصري، ص65.

3 () القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص107.

المبحث الأول
مفهوم الوقف ومشروعيته وخدماته

تعريف الوقف:

هو في اللغة: الحبس، وتقول، وقفت كذا إذا حبسته والحبس: المنع، وهو يدل على التأبيد، يقال فلان أرضه وقفاً مؤبدا، إذا جعلها حبيساً لا تباع ولا تورث([4]).

وقد وردت كلمة الوقف في القرآن الكريم، فقال تعالى: "وقفوهم إنهم مسئولون"([5]). وقال تعالى: "ولو ترى إذ وقفوا على ربهم"([6]).

ومعاني الوقف في اللغة تدور حول المعاني التالية: الحبس، والمنع، والسكون، والسكوت، والإدامة.

والوقف في الاصطلاح:

تناول الفقهاء الوقف بتعاريف مختلفة، ويعود سبب الاختلاف إلى اختلاف آرائهم في لزومه، وتأبيده وملكيته.

فقد عرفه أبو حنيفة بأنه: حبس المملوك عن التمليك من الغير"([7]). وتعريف الوقف على رأي الصاحبين "حبس العين على ملك الله تعالى وصرف منفعتها على من أوجب"([8]).

وعرفه المالكية بقولهم: "هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة([9]).

وعرفه الشافعية بقولهم: "مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح وتصرف منافعه تقرباً إلى الله تعالى([10]).

وأما تعريف الحنابلة للوقف، فقد عرفه ابن قدامة بأنه "تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"([11]).

والصحيح أن الوقف جائز عند الكل وإنما الخلاف بينهم في اللزوم وعدمه، ولعل التعريف المناسب للوقف: هو حبس مال وتسبيل منافعه على بر أو قربة بحيث يصرف ريعه إلى جهة بر تقرباً إلى الله تعالى.

والوقف يدل على صدق إيمان الواقف، ورغبته في الخير، وحرصه على مصالح المسلمين، وحبه لهم ولأجيالهم المتعاقبة، ومنافعهم المتلاحقة.

مشروعية الوقف وحكمه

الوقف مشروع باتفاق الفقهاء، وهو مباح ومندوب إليه لمن كان غنياً، لأنه صدقة من الصدقات.

وقد ثبتت مشروعيته وقامت أدلة الكتاب والسنة على تقريره، ففي الكتاب: رأى أئمة الدين في قوله تعالى: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون"([12]). ما شجعهم على القول بمشروعية الوقف.

وكذلك قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض..." ([13]).

4 () ابن منظور: لسان العرب، 9/359، مادة وقف.

5 () الصافات: آية رقم 24.

6 () الأنعام: آية رقم 30.

7 () السرخسي: المبسوط، 12/27.

8 () ابن عابدين: تنوير الأبصار مع الدر المختار 2/494-495، مع حاشية ابن عابدين.

9 () الدردير: أحمد بن محمد: الشرح الصغير 4/97-98.

10 () النووي: روضة الطالبين، 5/314.

11 () ابن قدامة: المغني مع الشرح الكبير، 6/185.

12 () سورة آل عمران، آية رقم 92.

13 () سورة البقرة، آية رقم 267.

ومن السنة الشريفة قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث أشياء: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[14].

وقد حمل العلماء الصدقة الجارية على الوقف، لأن منافع الموقوف تبقى دائمة يذكر الناس صابحها بالخير والرحمة.

والمشهور أن وقف عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- كان أول وقف في الإسلام، فقد كان يملك أرضاً تدعى "ثمغ" فجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وقال له: "يا رسول الله إني أصبت بخير أرضاً لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمرني؟ "فقال عليه الصلاة والسلام. (يا عمر: إن شئت حبّست أصلها وتصدقت بثمرها). فتصدق بها عمر –على أن لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث- في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول منها[15].

وأما الإجماع، فلأن المسلمين من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على إباحة الوقف والندب إليه من غير أن ينكر واحد منهم ذلك، فكان إجماعاً.

وأما القياس، فلأن الوقف نوع من الصدقات، وتبرع من التبرعات، وهي جميعاً جائزة ومندوب إليها بالنصوص الكثيرة.

وقد ضرب المسلمون منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الأمثلة في ميادين الوقف، فوقفوا أوقافاً لا تحصى، وسبّلوا أموالاً لا تعد، وشملت أوقافهم جوانب كثيرة من جوانب الخير، ونواحي المعروف، ومرافق الحياة، فما تركوا ناحية من نواحي الحياة إلا وقفوا لها وقفا، وما من ناحية من حاجات المجتمع إلا حبّسوا لها أموالاً، لذا يعتبر الوفق من مفاخر المسلمين ومآثرهم الحميدة.

هكذا حظي الوقف باهتمام خاص، فهو فضيلة اسلامية وضرورة اجتماعية وباب مهم من أبواب الخير والاحسان، لأنه يجمع لصاحبه بين الحسنيين: جميل الذكر في الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، وهذا أقصى ما يتمناه المؤمن، ويتضرع إلى ربه للحصول عليه، وباعتباره أيضاً فرصة لاستدراك بعض ما فاته من واجبات فرّط فيها، أو من حقوق لم يؤدها، قبل أن يدركه الموت، فضلاً عن الدور الذي يقوم به في مجال التننمية الاجتماعية والاقتصادية والصحية والثقافية.

14 () مسلم: صحيح مسلم مجلد 3، ص1255، رقم (1631).

15 () مسلم: صحيح مسلم مجلد 3 ص1255 رقم (1632)، الشوكاني: نيل الأوطار، 6/20.

المبحث الثاني
في بيان فضل الصدقة الجارية

إن فضل الصدقة الجارية فتح باب التقرب إلى الله تعالى في تسبيل المال في سبيل الله، وتحقيق رغبة المؤمن في بقاء الخير جارياً بعد وفاته ووصول الثواب منهمرا إليه، وهو في قبره، حين ينقطع عمله من الدنيا، ولا يبقى له إلا ما حبسه ووقفه في سبيل الله حال حياته، يقول عليه الصلاة والسلام "يقول ابن آدم: مالي مالي!! وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت"([16]).

ومن فضائل الصدقة: أنها تطفئ غضب الله سبحانه وتعالى، وانها تمحو الخطيئة، وأنها وقاية من النار، وأنها دليل على صدق العبد وإيمانه وأن يكون في عداد الأبرار الصالحين، وأن المنفق يدعو له الملك كل يوم بخلاف الممسك وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام "ما من يوم يصبح العباد به إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً"([17]).

وأن صاحبها يدعى من باب خاص من أبواب الجنة كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: من كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة"([18]).

ومن أمثلة الصدقة الجارية: ما يدل عليه الحديث الذي رواه ابن ماجة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علما علمه ونشره، أو ولداً صالحاً تركه، أو مصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه أو بيتاً بناه لابن السبيل، أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته"([19]).

وإن من أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، أيّ الصدقة أعظم؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، إلا وقد كان لفلان"([20]).

ومعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت، وأيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره، فإن صدقته حينئذ ناقصة، بالنسبة إلى حالة الصحة والشح ورجاء البقاء وخوف الفقر.

والوقف نوع من الصدقات وتبرع من التبرعات لذا ندب الإسلام إليه ورغب فيه، واعتبره من أفضل الطاعات، فهو يربي النفوس على الإيثار وحب الخير للآخرين وعدم التعلق بالمال مما يعزز الايمان في روحه وأن المال وسيلة للحصول على توفيق الله في الدنيا ومثوبته في الآخرة.

وتظهر ايجابية الوقف على المجتمع في تحقيق الأمن الغذائي والمائي والصحي والاجتماعي، وترسيخ قيم التضامن والتكامل والاحساس بالاخوة والمحبة بين طبقات المجتمع وأبنائه، ويظهر هذا من خلال دعوة الاسلام إلى التعاون بين الناس على البر والتقوى.

---

16 () مسلم: صحيح مسلم، م4 ص2273، رقم الحديث 2958.

17 () مسلم: صحيح مسلم م2 ص700 رقم الحديث 1010.

18 () مسلم: صحيح مسلم م2 ص712 رقم الحديث 1027.

19 () رواه ابن ماجة، 1/106، بإسناد حسن.

20 () مسلم: صحيح مسلم، م2، ص716، رقم الحديث 1032.

المبحث الثالث
إنشاء الأسبلة والسقايات للماء

أتناول في هذا المبحث مطلبين تتعلق بأهمية الماء وإنشاء السبل والسقايات.

المطلب الأول

أهمية الماء

الماء مصدر الحياة والحيوية في الكون الذي نعيش فيه، فلا غنى عنه لإنسان أو حيوان أو نبات، ووجود الماء ضروري لاستمرار الحياة على ظهر المعمورة التي نعيش عليها. وصدق الله العظيم في قوله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"([21]).

فالماء أساس الحياة ومصدر استمرارها ولا حياة بدون ماء، ففقدان الماء يساوي العدم، وبسبب عظم وضرورة الماء لبقاء النوع الإنساني، تكفل الله تعالى بإيجاده وتوفره وعدم جواز الاستئثار بالماء واحتكاره، فهو ينهمر من شآبيب رحمة الله فتفيض به الأنهار والبحار والبحيرات والمحيطات والعيون والينابيع.

والماء من أعظم النعم على الناس خلقه الله لهم عذباً زلالاً يسوغ شرابه، ولم يجعله ملحاً أجاجاً، ولينبت لهم به الزرع، والزيتون والأعناب وسائر الثمرات على اختلاف صنوفها، وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها، وهو حق ذو طبيعة اقتصادية وأهمية النص على هذا الحق هو ما يواجه العالم في المستقبل القريب، من نقص في المياه العذبة للوفاء باحتياجاته منها، إما نتيجة للإسراف فيها أو بسبب تلوثها، بسبب الفضلات والمخلفات التي تلقى فيها.

إن الانتفاع بالمياه، ليس مقصوراً على استخدامها كوسيلة للشرب وإرواء الإنسان والحيوان والنبات، بل تتعدد استخداماتها النافعة للبيئة والتي بدونها تصبح الحياة مستحيلة، فالمجتمعات البشرية تحتاج الماء في نواحٍ كثيرة منها الاستعمال الشخصي، الصناعة، الزراعة، والاستحمام.

ولقد أدرك العرب أكثر من أي شعب قيمة الماء للحياة كيف لا وهم أبناء الصحراء فقد ورد ذكر الماء في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة في اثنين وأربعين سورة في القرآن الكريم، ومنذ فجر التاريخ القديم أقام العرب السدود العظيمة، كسد مأرب في اليمن وحفروا الأقنية الكبرى لأغراض الري على ضفاف النيل وما بين النهرين، دجلة والفرات، وكشفت الحفريات الأثرية عن أقدم شبكات أقنية الماء الشرب تحت مدينة دمشق.

وما من أحد قبل أبي الحسن بن الهيثم وضع دراسة هندسية وافية لتنظيم جريان نهر النيل وذلك في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، حيث اقترح في تلك الدراسة بنا سد أسوان، وحفر قناة تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر([22]).

فالماء هو سر الحياة فهو ضروري لكل كائن حي، وهو مباح وشركة بين الناس. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "المسلمون شركاء في ثلاثة الماء والكلأ والنار"([23]).

وشركة الناس في هذه الأمور شركة إباحة لا شركة ملك، وأحكام الشريعة لم تقيد هذا الحق إلا بقيد عدم الضرر بالناس، فالضرر يجب أن يزول.

21 () سورة الأنبياء، آية رقم 30.

22 () د. نبيل السمان: حرب المياه من النيل إلى الفرات ص3، دار المستقبل، الخليل سنة 1997م.

23 () الألباني، محمد ناصر الدين: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، 6/6.

ولما كان الماء غير متوفر بشكل مستمر فإن الناس عمدوا إلى حفر الآبار لجمع مياه الشتاء، وأقاموا الحمامات ليبقى المسلم طاهراً نظيفاً في الأوقات جميعاً، ولا يخفى أن ديننا الاسلامي العظيم قد ربط الطهارات بالعبادات –في الصلاة، وفي الحج وفي الصوم- ودعا إلى طهارة البدن والثوب والمكان، كما حث على النظافة: نظافة الأماكن العامة والأماكن الخاصة.

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على مكة واهلها والوافدين إليها بماء زمزم الذي خرج بمعجزة ربانية بالقرب من الكعبة، ووضع الله عزوجل البركة في هذه البئر بحث تفي بحاجة واستهلاك الحجيج على مدار العهود والعصور.

وقال عنه نبينا عليه الصلاة والسلام "خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام من طعم، وشفاء من سقم"([24]).

ويوجد في ساحات المسجد الأقصى المبارك سبع وعشرون بئراً، منها خمس وعشرون بئرا عامرة، واثنتان في حالة خراب.

وبرك سليمان التي تنسب لسليمان القانوني من أهم البرك في فلسطين وتتجمع فيها المياه من عيون قريبة لها وهي: عين خروجة وعين صالح وعين عطان وعين أرطاس، وتزود هذه البرك المسجد الأقصى والبلدة القديمة من مدينة القدس بالماء([25]).

المطلب الثاني

وقفيات السُبل والسقايات

انطلاقاً من قوله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون"([26]).

فإن أجدادنا حفروا الآبار وأنشؤوا البرك وقنوات المياه، وأشادوا السبل والسقايات الوقفية لتوفير المياه مثل بئر رومة في المدينة التي وقفها الخليفة الراشدي الثالث الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم([27]). وعين سلوان في القدس.

وهناك المئات من الأسبلة الموقوفة في دمشق والقاهرة وبيت المقدس وغيرها من المدن الاسلامية.

* معنى السبل:

السبل لغة: هو الطريق بالمعنى الحقيقي والمجازي، فالمعنى الحقيقي ورد في قوله سبحانه وتعالى: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"([28]).

والمعنى المجازي في قوله تعالى: "وفي سبيل الله"([29]). وسبيل الله هو الجهاد وطلب العلم وكل أمر يتعلق بالصالح العام([30]).

والسبيل في الاصطلاح الوقفي: عين الماء وهو تعبير بدأ استعماله في أواخر القرن السابع للهجرة أي في عصر المماليك. ويرى د.عكرمة صبري أن ذلك من إطلاق الكل على الجزء حيث إن عين الماء الموقوفة هي

24 () أخرجه الطبراني في سننه رقم 11167 وأورده الألباني في كتابه السلسلة الصحيحة، ج2، ص114.

25 () د. عكرمة صبري: الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص458، 462.

26 () سورة الأنبياء، آية رقم 30.

27 () البخاري: صحيح البخاري ج5 ص31، 32.

28 () سورة آل عمران، آية رقم 97.

29 () التوبة: آية رقم 60.

30 () القرضاوي: فقه الزكاة ج2 ص669.

ضمن الوقوفات المسبلة، ولكثرة الاستعمال وترديدها عرفت العين الموقوفة بالسبيل، أما الكلمة التي كانت متداولة في العصر الأيوبي وما قبله فهي كلمة "سقاية" أو مسقاة أو صهريج أيضاً([31]).

ويعتبر وقف السبل من أهم الأدوات الاقتصادية المساعدة التي شرعها الاسلام للمشاركة في ضمان الضروريات الأساسية: وهي المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وقد اشتملت عليها الآية الكريمة "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى"([32]).

وتعد السقايات من الوقف الخير العام، فهي تقدم المنافع والخدمات المجانية بتوفير المياه العذبة مجاناً إلى أصناف وفئات متنوعة في المجتمع الانساني في المناطق المحرومة منها، وكذلك وضع مبردات المياه في الأمكان التي لا تتوافر فيها.

وعليه فقد كان للوقف دور كبير في توافر الأمن المائي للمسلمين منذ بداية نشأة الدولة الاسلامية في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد شاع الوقف لهذا الوجه من البر في سائر أنحا العالم الاسلامي لعظم فضلها وثوابها، فقد تبارى المسلمون في إنشاء الأسبلة، باعتبارها نوعاً من الصدقة الجارية التي يصل ثوابها إلى صاحبها بعد موته.

المبحث الرابع
أسماء السقايات والأسبلة في نابلس

تعد مدينة نابلس من أغنى المدن بينابيعها الكثيرة التي منها المرتفعة التي يشرب منها السكان، ومنها المنخفضة التي تروى منها البساتين، وكانت هذه الينابيع جميعها تدير الطواحين المائية قبل ظهور الآلات البخارية فتدر على أصحابها الأموال الكبيرة.

وتتمتع مدينة نابلس بانتشار السبل والسقايات الوقفية في مختلف أنحاء المدينة وسنتناول معظم هذه الأسبلة وهي:

1. سبيل الغزاوي:

يقع بالقرب من مقام الشيخ مسلّم في الزاوية الشرقية الشمالية من حارة الحبلة، جنوب مسجد الأنبياء، وهو جد آل الصمادي بنابلس ودمشق، وقد أوقف الشيخ عبد القادر بن الصمادي النابلوسي على أولاده وأولاد أولاده وذريته وبعد الانقراض على الصخرة المشرقة وعلى الزاوية، جميع الدار في محلة الحبلة المشتملة على بيوت ملاصقة للزاوية واصطبل.

تاريخ الوقفية في سنة 960([33]).

أما إنشاء السبيل فكان سنة 1313هـ/ 1895م في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وقد قمات بلدية نابلس بإصلاحه وترميمه سنة 1431هـ/ 2010م.

31 () عكرمة صبري: الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص465، 466.

32 () سورة طه، آية رقم 119-118.

33 () محمد عيسى صالحية: سجل أرضاي ألوية نابلس ص201.

2. سبيل السقاية:

يقع مقابل الجامع الكبير([34])، أسفل دار النمر الجنوبية، وقد أنشأه وأوقفه سليمان آغا طوقلي زاه أحد أمراء ووجهاء مدينة نابلس في سنة 984هـ/ 1576م وهو معمارياً عبارة عن بناء جميل على الطراز العثماني له حوض مستطيل الشكل ووسطه صنبور للماء ولوحة رخامية متكوب عليها قوله تعالى :"وجعلنا من الماء كل شيء حي"([35]). وأعلاه عقد ثلاثي الفتحات وخلفها خزان الماء، وقد جددت بلدية نابلس بناءه مؤخراً عام 1997م وكذلك سنة 2010م وذلك بدعم من البنك الاسلامي للتنمية.

3. سبيل الكأس:

يقع مقابل مطهرة الجامع الصلاحي (الكبير) –حي العقبة. حيث بنى أمير الحاج سليمان باشا العظم لواوين وبركة ونقل عمر آغا النمر الكاس (السبيل) عن بلاطه إلى خارج وذلك سنة 1133هـ([36]).

وكان المسجد قد تحول في زمن صلاح الدين وسمي جامع الكبير الصلاحي وبنى مئذنته مصطفى بك الفقاري الذي توفي سنة 1051هـ([37]).

وبنى المارستان المجاور للجامع المذكور الذي دفن خارجه لجهة الغرب.

4. سبيل الطاهر: (حارة الفقوس)

أنشأ وأوقف هذا السبيل الحاج محمود أفندي بن الحاج أسعد الطاهر، أحد وجهاء وأثرياء نابلس سنة 1292هـ- 1875م وقد قامت بلدية نابلس بإصلاحه وتجديد بنائه سنة 1987م و2010م (منحة البنك الاسلامي للتنمية) وأضافات إليه التحسينات.

5. سبيل عين السكر (الحدرة)

أنشأ وأوقف هذا السبيل المحسن حسني بيك بن داوود بيك أحد وجهاء مدينة نابلس في سنة 1251هـ/ 1835م.

وقد قامت بلدية نابلس بإعادة بنائه سنة 1997م، وكذلك سبيل أضافت إليه التحسينات سنة 2010م (منحة البنك الاسلامي للتنمية).

6. سبيل عين الست:

يقع في منطقة باب الساحة في الزاوية الجنوبية الشرقية من أسفل جامع النصر، وهو ينسب للست ثروت الجيطان بنت الميرالاي عبد العظيم الجيطان من أمراء بلاد الصرب (يوغسوسلافيا) القائم ضريحها في المقبرة التي فيها قبورهم وقبور آل طوقان –باب الساحة. وقد أسس وأوقف السبيل في القرن الثالث عشر هجري /التاسع عشر ميلادي([38])، ثم أعيد بناؤه سنة 1935م، ثم عمر وجدد عام 1989م .

7. سبيل الصلاحي

يقع غرب المدينة قرب جامع العمري الحنبلي، دعي بالحنبلي نسبة للحنابلة الذين تولوا الإمامة فيه([39]).

34 () الجامع الكبير (الصلاحي) يقع في القسم الشرقي من المدينة، وهو أكبر مساجد نابلس. انظر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء 4/181، بلادنا فلسطين ج2، ص2، ص228.

35 () سورة الأنبياء، آية رقم 30.

36 () احسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء ج2 ص196.

37 () ابراهيم الغني: من إصدارات بلدية نابلس ج1 ص66، 67.

38 () احسان النمر: تاريخ جبل نابلس ج2 ص34.

39 () انظر بلادنا فلسطين ج2 ص226.

وأنشأ وأوقف هذا السبيل أحد أفراد آل الصلاحي الذين كانوا في نابلس في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقد قمات بلدية نابلس بإصلاحه 1987 وجددت بناءه مؤخراً عام 2010م([40]).

8. سبيل عين الجديدة (حارة الغرب)

يقع بقرب الجامع الحنبلي، وقد أنشئ وأوقف هذا السبيل في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي وقد أعيد بناؤه ستة 1935، وقامت بلدية نابلس بإصلاحه سنة 1987 وأضافت إليه التحسينات سنة 2010م.

9. سبيل عين حسين

يقع وسط البلدية القديمة التقاء شارع النصر مع أول شارع الشواية وأنشأ سنة 1882م وبني مسجد العين وجدد بناءه ابراهيم بك طوقان عام 1190هـ وسمي جامع البيك([41]). وذلك نسبة إلى لقب العائلة.

10. سبيل التوباني:

يقع أمام مقام الشيخ التدماني –زاوية الشيخ نظمي عوكل- حارة الغرب([42]). وأنشا هذا السبيل فخر التجار الحاج اسماعيل أفندي ابن شاكر بن أحمد بن الدرويش أحمد أحد وجهاء وأثرياء مدينة نابلس سنة 1301هـ/1883م وقد قام بوقفه سنة 1306هـ/ 1888م وفي سنة 1950 تم إغلاقه، ثم قامت بلدية نابلس بإعادة ترميمه وفتحه سنة 1431هـ/ 2010م بدعم من البنك الاسلامي للتنمية.

11. سبيل الخضر:

هو أحد أجمل سبل المياه في نابلس يقع مقابل مسجد الخضر –شارع الخضر، وكان المتبرع بعمارته هو البدوي عاشور واخوانه وجر المياه إليه من نبع رأي العين وأنشئ في العام 1311هـ.

12. سبيل الران

يقع في حارة الياسمينة، أسفل الواجهة الغربية من جامع الساطون([43])، وقد بني وأوقف عام 1099هـ/1687م، وهو عبارة عن سبيلين متجاورين، يتكون من حوض حجري، وعقد يعتلي صنبوراً للماء وسط الواجهة الحجرية للسبيل.

13. سبيل عين العسل

تقع في حي الياسمينة بالقرب من جامع الخضراء([44]).

14. سبيل عين القريون:

أنشأ هذا السبيل الروماني فوق نبع القريون وقامت البلدية بترميمه سنة 2010م.

15. سبيل حسونة

أنشأ هذا السبيل حسونة بك جري باشا في ساحة التوتة في حين القريون

ومن أسماء السبل أيضاً: سبيل بيزار القطين وسبيل زاوية مقبول وسبيل عين البط وسبيل المنشية وسبيل بيت النابلسي وسبيل بئر الدولاب وسبيل مسجد رفيديا القديم، وسبيل الألفي وسبيل عاشور.

40 () بدعم من البنك الاسلامي للتنمية – السعودية .

41 () احسان النمر: تاريخ جبل نابلس ج4 ص180.

42 () آمال السجدي، بلدة نابلس القديمة ص67، عمان سنة 2002.

43 () تاريخ وقفية الجامع في سنة 850 رقم الوقفية 45/39. انظر سجل أراضي آلوية نالبس: دراسة وتحقيق د. محمد عيسى صالحية.

44 () يرجع تاريخ بنائه الحالي إلى أيام السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي (1290-1279) سابع ملوك دولة المماليك التركية. المرجع متسلمية نابلس: علاء كامل عبد الجابر سعادة ص356.

المبحث الخامس

المقترحات لاستعادة دور الوقف في تقديم الخدمات الاجتماعية

لقد لعبت الاوقاف دوراً مهماً عبر العصور الاسلامية، في إنشاء مؤسسات المجتمع المدني، وتغطية حاجات المجتمع الدائمة في شتى المجالات ومنها: التكايا والزوايا والخانات والسقايات في الطرقات العامة، والآبار والقنوات وإصلاح الجسور والقناطر والمعابر وأوجه البر العديدة التي لا حصر لها. وما زالت بعض هذه الأوقاف شاهدة على هذا الدور العظيم الذي لعبته مؤسسة الوقف يوماً في بناء لمجتمع العربي في فلسطين أو بلاد الشام.

فالوقف في فلسطين بحاجة ماسة الآن إلى إعادة إحيائه وبعث الروح فيه من جديد وتطويره بما يلاءم وروح العصر ومتطلباته وإعادته إلى الدائرة الأولى التي انطلق منها ومن أجلها. فقد تقلص دور الوقف في العصر الحديث، فضلاً عما آل إليه الوقف من إهمال، وتدخلات أفسدت دوره ورسالته، الأمر الذي جعل الناس يتقاعسون عن المساهمة في وقف بعض أموالهم في أوجه الخير، فلا بد من إعادة الثقة للناس في هذا المضمار وذلك:

- ببث الوعي الديني الصحيح في الناس، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن الوقف.
- ايجاد الأطر التنظيمية المختلفة من تشريعات ولوائح ونظم توفر للوقف الاستقلال المناسب.
- دعوة الاثرياء والخيّرين من المسلمين للمساهمة الفعالة بالوقف لتلبية حاجات المجتمع.
- المحافظة على الأموال الوقفية من الاضمحلال والخراب وذلك بصيانتها وتحسينها وبقائها لتحقيق قصد الشارع من الوقف وغرض الواقف منه ويقع الموقوف عليهم، وما يترتب على ذلك من فائدة للمجتمع.
- حماية أموال الاوقاف الموجودة والمحافظة عليها من الغصب والضياع والتعطيل والعمل على استرداد أملاك الأوقاف التي حولت إلى استعمالات أخرى بطرق غير مشروعة.
- الاهتمام بكفاءة العاملين في الأوقاف والتمحيص في اختيارهم من حيث أمانتهم والسعي إلى الارتقاء بمستواهم العلمي والعملي من خلال إشراكهم بالدورات اللازمة لذلك.
- وكذلك تنمية وتثمير الأوقاف فهذه المسألة في غاية الأهمية لأن الاستمرارية التي هي غرض الصدقة الجارية في إدامة الخير والبر لتبقى ثمرته وتدوم منفعته إلى يوم الدين.

الخاتمة

إنها بادرة رائعة أن يتنبه أبناء هذه المدينة الريقة إلى إبراز دورها ومكانتها المركزية طوال العقود الماضية، فقد كان لمدينة نابلس دور محوري في حياة فلسطين على مختلف الأصعدة، وما زالت هذه المدينة محط أنظار الجميع من سائر المدن الفلسطينية.

وامتازت هذه المدينة الباسلة عن غيرها بأنها من أقدم مدن العالم، وهي العصب المركزي للتجارة والصناعة في فلسطين لموقتها المتميز بين المدن الفلسطينية وهي الحصن المنيع ضد الأخطار الخارجية، وهي الارض الشامخة أمام الغزاة والمحتلين بتضحيات أبنائها البررة.

وبعد، فإنه لا بد لكل عمل من ثمرة، وأن من أهم خلاصات وثمار الدراسة لهذا البحث ما يأتي من توصيات نأمل أن تؤخذ بعين الاعتبار.

- الدعوة لإحياء نظام الوقف بجميع أنواعه التي كان لها دور عظيم في الحضارة الاسلامية وخاصة الخدمات الاجتماعية.
- استمرار قيام المجالس البلدية بالمحافظة على هذه السبل والسقايات وتحسينها لتستمر في عملها.
- بناء السدود وحواجز المياه الترابية والخرسانية في المناطق التي تعاني من شح الحياه الجوفية.
- حفر الآبار في المناطق التي تحتاجها كالبوادي والقرى، أو تعميق ما غارت مياهها وبناء ما تهدم جدرانها.
- مد شبكات توزيع المياه الصالحة للشرب في القرى والأماكن المحتاجة لها.
- تركيب دارات كهربائية "مواتير" ضخ المياه على بعض الآبار المشاعة أو لبيوت بعض الفقراء.
- تركيب برادات المياه الداخلية والحافظات بالمساجد ليشرب منها المصلون في تلك المساجد، ووضع كاسات المياه وأكواب الشراب على برادات المياه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبصرنا بما فيه الخير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

- القرآن الكريم
- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار، شرح تنوير الابصار، دار احياء التراث العربي-بيروت.
- ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، نشر: دار صادر بيروت.
- ابن قدامة، الحنبلي، المقدسي، المغني مع الشرح الكبير، ط1، دار الحديث سنة 1996م، القاهرة.
- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع عيسى البابي الحلبي-القاهرة.
- احسان النمر: تاريخ جبل نابلس والبلقاء، 4 أجزاء، مطبعة عمال المطابع التعاونية بنابلس، سنة 1395هـ 1975-م.
- البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم: صحيح البخاري، نشر: المكتبة الاسلامية محمد أوزدمير، استانبول- تركيا.
- الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، نشر: دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا.
- الدردير، أحمد بن محمد، الشرح الصغير، نشر: دار المعارف ، مصر.
- السرخسي: شمس الدين: المبسوط، نشر دار المعرفة، بيروت، طبع سنة 1406هـ/1986م.
- السجدي، أمال عزت، وبلدة نابلس القديمة في صور قبل الاجتياح الاسرائيلي في 2002 وبعده، مطابع النُصّار، عمان.
- سعادة، علاء كامل عبد الجابر: متسلمية نابلس في العهد المصري، دار البشير-عمان- الأردن، ط:1، سنة 2009.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، نشر: المكتبة التوفيقية.
- صالحية، محمد عيسى: سجل أراضي ألوية صفد، نابلس، غزة، الرملة، نشر: جامعة عمان الأهلية، ط: 1 سنة 1419هـ/ 1999م.
- الطبراني: سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، نشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر.
- عكرمة صبري: الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق، نشر دار النفائس، ط 1 سنة 1428هـ 2008-م ، عمان.
- كلبونة، عبد الله صالح: تاريخ مدينة نابلس، ط1 نابلس 1836م.
- القرضاوي، الشيخ يوسف: فقه الزكاة – دراسة مقارنة: لأحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت، ط1، سنة 1997م.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الغزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
- الغني، ابراهيم: نابلس في الحضارتين اليونانية والرومانية، من إصدارات بلدية نابلس، سنة 1999م.
- مجير الدين، أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد (العليمي): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمود عودة الكعابنة، ط1، مكتبة دنديس، الخليل.